

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٣

خالد

بن الوليد

فائيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٣

خالد بن الوليد

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جلال السخاوي وشركاه
شارع كامل صدق - الفجالة
٥٩٠٨٩٩٠٠٥

خالد بن الوليد

كَانَ أَحْمَدُ وَحَازِمٌ أَخَوَيْنِ مُتَحَابِّينِ ، وَكَانَ لَهُمَا
صَدِيقٌ حَمِيمٌ هُوَ صَلاَحٌ ، وَكَانَ بِمَثَابَةِ الْأَخِ
الثَّالِثِ لَهُمَا ، وَكَانَ الثَّلَاثَةُ دَائِمًا مَعًا ، سَوَاءٌ فِي
أَثْنَاءِ الدِّرَاسَةِ أَمْ فِي اللَّعِبِ . وَلَا حَظَّ وَالِدُهُمَا
أَخِيرًا اخْتِفَاءَ صَلاَحٍ مِنْ حَيَاةٍ وَلَدِيهِ ، فَلَمْ يَعُدْ
يَحْضُرُ لَزِيَارَتِهِمَا ، أَوْ حَتَّى يَتَّصِلَ بِهِمَا ، فَاسْتَعْجَبَ
لِذَلِكَ وَسَأَلَ لَهُمَا : أَيْنَ صَلاَحٌ ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَعُدْ يَأْتِي
لَزِيَارَتِكُمَا ؟ هَلْ تَخَاصَمْتُمَا ؟

قَالَ حَازِمٌ : لَيْسَ ذَلِكَ بِالضَّبْطِ يَا أَبِي ، وَلَكِنَّ
صَلاَحًا انْضَمَّ أَخِيرًا إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَاءِ السَّوِّءِ ،
فَأَثَرُوا فِيهِ وَفِي سُلُوكِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ أَهْمَلَ دِرَاسَتَهُ ،
فَأَغْضَبَ مُدَرِّسِيهِ مِنْهُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ : وَالْأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، أَنَّهُ فَرَطَ فِي

حُقوقِ اللَّهِ ، فتكاسَلَ عَنِ الصَّلَاةِ .

قالَ أبوهُما : وأينَ كُنْتُمَا أنْتُمَا ؟ لِمَاذَا لمَ تَمْنَعَاهُ

عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا ، هلْ حَاوَلْتُمَا مَعَهُ ؟

قالَ أَحْمَدُ فِي خَجَلٍ : لِلْأَسْفِ لمَ نَحَاوِلْ ، فَعِنْدَمَا

عَلِمْنَا بِانْضِمَامِهِ إِلَى أَصْدِقَائِهِ الْجُدُدِ ، تَرَكْنَاهُ وَابْتَعَدْنَا

عَنهُ .

قالَ أبوهُما مُؤَنِبًا : لَقَدْ أَخْطَأْتُمَا فِي حَقِّ

صَدِيقِكُمَا . لِمَاذَا لمَ تَقِفَا بِجَانِبِهِ ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُمَاهُ

فَرِيسَةً سَهْلَةً لِأَصْدِقَاءِ السَّوِّءِ ؟ إِنَّ أَبْسَطَ حُقُوقِ

الصَّدِيقِ عَلَيْكَ ، أَنْ تَقِفَ بِجَانِبِهِ عِنْدَ احْتِيَاجِهِ

إِلَيْكَ .

قالَ حَازِمٌ : وَلَكِنَّ صَلَاحًا ارْتَكَبَ أَخْطَاءَ

كَثِيرَةً ، أَغْضَبَتْ مِنْهُ زُمَلَاءُهُ وَمُدَرِّسِيهِ .

قالَ أبوهُما : وأينَ الْعَفْوُ وَالتَّسَامُحُ اللَّذَانِ أَمَرْنَا

الإسلام بهما ؟ إِنَّ ما فَعَلَهُ صَدِيقُكما صَلاح ، لا يَتَعَدَّى بَعْضَ الأَخْطاء الصَّبِيانِيَّة ، وأنْتُما لا تُريدان أَنْ تُسامِحاهُ عَلَیْها . وَقَدْ عَفَا الرُّسُولُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكَثِيرينَ الَّذينَ وَقَفُوا فِي طَرِيقِ الإسلام ، وَصَدَّوا النَّاسَ عَنْهُ . فَقَدْ عَفَا عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَذاقُوا المُسْلِمينَ أَشَدَّ أنواعِ العَذاب ، ولو لم يَفْعَلْ ذَلِكَ لَخَسِرَ الإسلامُ كَثيراً مِنَ السُّيُوفِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى انْتِشارِهِ فِي أَغْلَبِ بِلادِ العالَمِ ، شَرْقِهِ وَغَرْبِهِ . وَعَمِلَتْ عَلَى رَفْعِ رايَتِهِ عَالِيَةً خَفَافَةً . وَأَعْظَمُ مِثالٍ لَذَلِكَ سَيْفُ اللّهِ المُسلُولُ خالِدِ بْنِ الوَلِيد ، الَّذي لَمْ يَعْفُ عَنْهُ الرُّسُولُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَط ، بَلْ دَعَا لَهُ أَيْضاً وَقَالَ : (اللّهُمَّ اغْفِرْ لخالِدِ بْنِ الوَلِيدِ كُلِّ ما أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ) .

قال أحمد : وأين نحن من رسول الله ؟
قال أبوه : ولكننا مع ذلك يجب أن نتخذه
القدوة والأسوة الحسنة التي يحتذى بها .
قال حازم : هلاً قصصت علينا يا أبا قصة
سيف الله المسلول ، فنحن نريد أن نعرف كيف
انتقل من ظلام الشرك إلى نور الإسلام .
قال أبوهما : لكما ما تريدان . نشأ خالد في
كنف والده الوليد بن المغيرة ، وكان هو القائم
على شؤون الحرب والسلاح في قبيلة قريش ،
فنشأ خالد فارساً مغواراً ، عالماً بفنون الحرب
والقتال . ومات الوليد من جراء دعاء الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه . واحتل خالد مكانة
والده ، وعمل جهده على محاربة الإسلام ،
ومحاولة القضاء على الدعوة الجديدة ، وكانت

قريش تُؤازِرُهُ وتُشجِّعُهُ ، فهي تُريدُهُ أَنْ يَبْقَى فِي صَفِّهَا دَائِمًا ، وَخَاصَّةً بَعْدَ إِسْلَامِ كُلِّ مَنْ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَغُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

سَأَلَ حَازِمٌ : وَهَلْ حَارَبَ خَالِدٌ الْمُسْلِمِينَ ؟
قَالَ أَبُوهُ : اشْتَرَكَ خَالِدٌ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَكَانَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ يُحَارِبُ مَعَهُ فِي صُفُوفِ قُرَيْشٍ ، وَحَدَّثَ أَنَّ أُسِرَ الْوَلِيدُ فِيمَنْ أُسِرَ . وَخَيْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسْرَى ، فَإِمَّا أَنْ يَفْدَى الْأَسِيرُ نَفْسَهُ بِاعْتِنَاقِهِ الْإِسْلَامَ ، وَإِمَّا أَنْ يَفْدِيَهُ أَهْلُهُ بِالْمَالِ .

وَسَارَعَ خَالِدٌ إِلَى فِدَاءِ أَخِيهِ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْوَلِيدُ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُ ، أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَلِمَاذَا لَمْ يُسْلِمَ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ ،

وَيَفْدِي نَفْسَهُ بِاعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ ؟

ضَحِكَ أَبُوهُ وَقَالَ : سَأَلْتَ نَفْسَ السُّؤَالِ الَّذِي
سَأَلَهُ خَالِدٌ لِأَخِيهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَخُوهُ بِقَوْلِهِ : لَقَدْ
رَأَيْتُ مِنْ مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِي وَأَنَا فِي الْأَسْرِ ، مَا لَمْ
أَلْقَهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ
أُسْلِمَ حِينَذَاكَ فَيُقَالَ إِنِّي أَسْلَمْتُ خَوْفًا مِنَ الْأَسْرِ .
وَهَاجَرَ الْوَلِيدُ أَخُو خَالِدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَرْسَلَ
إِلَى أَخِيهِ خَالِدٍ رِسَالَةً قَالَ فِيهَا : أَمَّا بَعْدُ ، فَبِإِنِّي لَمْ
أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ
الْمَعْرُوفُ بِبُعْدِ النَّظَرِ وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ .. وَهَلْ يَجْهَلُ
الْإِسْلَامَ عَاقِلٌ مِثْلُكَ يَا خَالِدُ ؟ وَقَدْ طَالَمَا سَأَلَنِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْنَ خَالِدُ ؟
فَأَقُولُ لَهُ : اللَّهُ يَأْتِي بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ أَحْمَدُ : لَقَدْ دَرَسْنَا غَزْوَةَ أَحَدٍ فِي مَنْهَجِ

التَّربِيَةِ الدِّينِيَّةِ ، فَكَانَ خَالِدٌ مِنَ الْمَكْرِ وَالِدَّهَاءِ
بِحَيْثُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْلِبَ مِيزَانَ الْمَعْرَكَةِ ، وَيُحَوِّلَ
النَّصْرَ إِلَى جَانِبِ قُرَيْشٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي جَانِبِ
الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ حَازِمٌ : أَنَا لَمْ أَدْرُسْ هَذِهِ الْغَزْوَةَ بَعْدَ ،
فَاحْكُ لَنَا يَا أَبَى كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ .

قَالَ أَبُوهُ : أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الرُّمَاءَ أَنْ يَقِفُوا بِجَبَلٍ أَحَدٍ ، لِيَحْمُوا ظُهُورَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَتْرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ هَذَا مَهْمَا حَدَثَ .

وَرَجَحَتْ كِفَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، فَحَسِبَ الرُّمَاءُ أَنَّ
الْمَعْرَكَةَ قَدْ انْتَهَتْ ، فَخَالَفُوا أَمَرَ الرَّسُولِ ، وَنَزَلَ
أَكْثَرُهُمْ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ ، وَبَقِيَ أَقْلُهُمُ الَّذِينَ أَبَوْا
أَنْ يَعْصُوا أَمَرَ الرَّسُولِ .. وَلاحِظَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
خُلُوءَ الْجَبَلِ مِنْ أَكْثَرِ الرُّمَاءِ ، فَهَجَمَ عَلَى الْبَقِيَّةِ

الْقَلِيلَةَ مِنَ الْخَلْفِ ، فَمَا أَثَارَ الْفَوْضَى فِي صُفُوفِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجُرْحَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ النَّصْرُ هَذِهِ الْمَرَّةَ لِقُرَيْشٍ .

سَأَلَ أَحْمَدُ : وَمَتَى أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا أَبِي ؟
أَجَابَهُ أَبُوهُ : بَدَأَ قَلْبُ خَالِدٍ يَتَفَتَّحُ لِلنُّورِ وَهُوَ
فِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، بَعْدَ صَلَاحِ الْحُدَيْيَةِ ،
عِنْدَمَا رَأَى جُمُوعَ الْمُسْلِمِينَ يُودُّونَ الصَّلَاةَ خَلْفَ
الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، فَكَانَ لِهَذَا الْمَشْهَدِ الْأَثَرُ الْعَمِيقُ
فِي نَفْسِهِ الَّذِي هَزَّهُ مِنْ أَعْمَاقِهِ ، وَأَثَرَ فِي وَجْدَانِهِ
وَرُوحِهِ وَعَقْلِهِ . وَلَا تَنْسَ يَا أَحْمَدُ رِسَالَةَ أَخِيهِ
الْوَلِيدِ ، الَّتِي جَعَلْتَهُ يُفَكِّرُ فِيهَا وَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَقَدْ
اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ ، أَيْ اسْتَقَامَ الطَّرِيقُ .. وَإِنَّ الرَّجُلَ
لَرَسُولٍ ، فَحَتَّى مَتَى ؟ أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِمَ .
وَخَرَجَ خَالِدٌ لِلِقَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

وقابل في الطريق كلاً من عثمان بن طلحة وعمر بن العاص . ليصلوا جميعاً إلى المدينة ويعلنوا إسلامهم . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لخالد : (لقد كنت أرى لك عقلاً ، ورجوته ألا يسلمك إلا إلى خير) .

وطلب خالد من الرسول أن يستغفر له عن كل ما فعله من صد عن سبيل الله . فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن الإسلام يجب (يمحو ويقطع) ما كان قبله ، ودعا الله له بالمغفرة .

قال حازم : يا لسماحة الإسلام !

قال أبوه : ومنذ تلك اللحظة ، تحول سيف خالد بن الوليد من محاربة المسلمين ومحاولة القضاء عليهم ، إلى نصرة دين الله .

قال أحمد : نعم ، وقد قال الرسول صلى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ مُوتَ : (.. ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ
مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ) .

غَضِبَ حَازِمٌ وَقَالَ : لَا تَسْبِقِ الْأَحْدَاثَ
يَا أَحْمَدُ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ الْقِصَّةَ كَامِلَةً ، أَعْلَمُ
أَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَّكَ دَرَسْتَ غَزْوَةَ مُوتَةَ فِي
الْمَدْرَسَةِ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهَا أَنَا أَيْضًا .

قَالَ أَبُوهُمَا مُهْدِنًا ابْنَهُ حَازِمَ : لَا تَغْضَبْ يَا
حَازِمُ ، فَسَاحِكِي لَكَ كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّفْصِيلِ . كَانَتْ
غَزْوَةُ مُوتَةَ فِي حَرْبِ الرُّومِ ، وَاسْتُشْهِدَ فِيهَا ثَلَاثَةٌ
مِنْ أَعْظَمِ قَوَادِ الْمُسْلِمِينَ ، هُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ،
وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ،
وَكَانَتْ كِفَّةُ الرُّومِ هِيَ الْكِفَّةُ الرَّاجِحَةُ . وَبَعْدَ
سُقُوطِ آخِرِ الْقَوَادِ شَهِيدًا ، رَفَعَ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ
اللَّوَاءَ وَأَعْطَاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَأَبَى خَالِدٌ أَنْ

يَحْمِلَ اللَّوَاءَ وَهُوَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالْإِسْلَامِ ، وَفِي
صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هُمْ أَحَقُّ مِنْهُ بِاللَّوَاءِ مِمَّنْ
شَهِدُوا بَدْرًا ، وَلَكِنَّ ثَابِتًا أَصَرَ عَلَى رَأْيِهِ وَقَالَ :
خُذْهُ فَإِنَّتَ أَذْرَى مِنِّي بِالْقِتَالِ .

قال حازمٌ مَشْدُوها : أأَخَذَ خَالِدُ اللَّوَاءَ ؟ وَمَاذَا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْعَلَ ؟

قال أبوه : اسْتَخْدَمَ خَالِدُ الْمَكْرَ وَالْحِيلَةَ لِلْخُرُوجِ
مِنَ الْمَعْرَكَةِ بِأَقْلٍ قَدَرٍ مِنَ الْخَسَائِرِ ، فَبَدَّلَ مَوَاقِعَ
الْجُنُودِ ، لِيَفَاجَأَ الرُّومَ بِوُجُوهِ جَدِيدَةٍ أَمَامَهُمْ ،
وَأَمَرَ الْجُنُودَ أَنْ يُثِيرُوا الْغُبَارَ لِيُوهِمَ الرُّومَ أَنَّ مَدَدًا
جَدِيدًا مِنَ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْعَتَادِ قَدْ وَصَلَ
إِلَيْهِمْ ، فَاسْتَطَاعَ بِذَلِكَ أَنْ يَفْتَحَ ثَغْرَةَ فِي صُفُوفِ
الرُّومِ خَرَجَ مِنْهَا جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ فِي سَلَامٍ .

قال أحمد : يَا لَهَا مِنْ خُطَّةٍ بَارِعَةٍ مَأْكِرَةٍ !

قال أبوه : وفى يوم الفتح الأكبر - فتح مكة -
خرج خالدٌ واحداً من قادة الجيش المسلم الذين
يحملون الإسلام إلى مكة ، وليس من الذين
يحملهم الفتح إلى الإسلام ، فاقْتَصَّ من الأصنام ،
وشارك فى تحطيمها . وكم أضع من عمره
عابداً متذللاً لما لا ينفع ولا يضر .

قال حازم : يا ليتنى كنت معهم ساعة تحطيم
الأصنام ، فكنت أنقض عليها أحطمها بيدي وأركلها
بقدمي .

وضحكوا كثيراً لحماسة حازم .

وراح أبوهما يكمل قصته فقال : ومات الرسول
صلى الله عليه وسلم وكثرت الفتن والقلاقل ،
وبدأت بعض القبائل ترتد عن الإسلام ، وتتوقف عن
أداء الزكاة .

وكانَ لِسَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُولِ ، أَكْبَرُ الْفَضْلِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى تِلْكَ الرَّدَّةِ .

سَأَلَ حَازِمٌ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ يَا أَبَى ؟
قَالَ أَبُوهُ : لَقَدْ فَكَّرَ الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّ الصَّحَابَةَ أَصْرَوْا عَلَى بَقَائِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَأَنْ يُقَسِّمَ الْجَيْشَ إِلَى إِحْدَى عَشْرَةَ فِرْقَةً ، وَيَرْسُمَ لِكُلِّ فِرْقَةٍ دَوْرَهَا .

وَكَانَ خَالِدٌ أَمِيرًا عَلَى إِحْدَى هَذِهِ الْفِرَقِ ، وَيَقُولُ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَهُوَ يُقَدِّمُ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ : لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ لَكَ وَهُوَ يُقَدِّمُ لَكَ اللَّوَاءَ : نَعَمْ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ .

وَمَضَى خَالِدٌ مِنْ نَصْرٍ إِلَى نَصْرٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى

المَعْرَكَةُ الْفَاصِلَةُ ، مَعْرَكَةُ الْيَمَامَةِ حَيْثُ قَابَلَ
مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ .

والتقى الجيشان ، ورأى خالدٌ تقدّمَ مُسَيْلِمَةَ
وقوّاته ، وبذَكَاءِ المحاربِ المتمرس ، عرفَ خالدٌ نقطَ
الضعفِ التي في جيشه ، فقسّمه إلى لواءات :
المهاجرون تحت لواء ، والأنصارُ تحت لواء ، كما
جعل أبناء كلِّ قبيلة تحت لواء لهم ، ثمّ صاح :
امتازوا لنرى اليومَ بلاء كلِّ حيّ .

وحدث بالفعل ما توقّعه خالد ، وأبلى
المسلمون بلاءً حسناً ، فكان لهم النصر .

قال أحمد : وماذا في تقسيم اللّواءات ، وكيف
قادهم إلى النصر ؟

قال أبوہ : جعل خالدٌ كلَّ طائفةٍ تُقاتل وخذها
في اتجاه ، ممّا حمّس الجميع ، فلا يُقال إنّ لواء

المهاجرين أو الأنصار هو أضعف اللّواءات .
قال أحمد : الآن فهمت الخطّة .. فقد أثار خالد
روح المنافسة بينهم .

قال أبوه : هذا بالضبط ما قصد إليه . وأرسل
الخليفة إلى خالد في اليمن ، يأمره بالتوجّه إلى
العراق ليحارب الفرس . وخاض خالد مع الفرس
خمسة عشرة معركة ، أظهر خلالها من القوة
والمهارة والشجاعة والإلمام بكافة فنون الحرب
وخدعها ما أظهر . وبعد أن استقامت الأمور
بالعراق ، أمره الخليفة بالتوجّه إلى الشام ،
واستخلف على العراق المنثى بن حارثة الشيباني .
ولم تكن الرحلة من العراق إلى الشام سهلة ،
فاستعان خالد بأحد رواد الصحارى . وفي الشام
قامت معركة اليرموك ، وفيها من المآثر والمواقف

مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ إِيْمَانِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ
وَصَلَابَتِهِمْ ، فَكَانَ الْجَرْحَى يَرْفُضُونَ الْمَاءَ وَهُمْ
عِطَاشٌ وَيَقُولُونَ : أَعْطِ الْمَاءَ زَمِيلِي فَإِنَّ جُرْحَهُ أَشَدُّ
مِنْ جُرْحِي ، وَحَاجَّتُهُ إِلَى الْمَاءِ أَكْثَرُ مِنْ حَاجَّتِي .
وَهَكَذَا كَانَ الْجَرْحَى يَمُوتُونَ عَطَشًا ، وَسَوْفَ
يُرَوُّونَ بِمَاءِ الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ أَحْمَدُ : يَا لِلْإِثَارِ وَالتَّضَحِّيَةِ !

قَالَ أَبُوهُ : كَمَا كَانَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مَوْقِفٌ
يَدُلُّ عَلَى شَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ لَا مَثِيلَ لَهُمَا . فَهَا هُوَذَا
وَمَعَهُ مِائَةُ مُقَاتِلٍ فَقَطْ ، يَنْقَضُونَ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا
وَيَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ .

قَالَ حَازِمُ : أَحَقًّا حَدَّثَ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ ؟

قَالَ أَبُوهُ : إِنَّ شَجَاعَةَ خَالِدٍ وَقُوَّتَهُ ، لَمْ تَبْهَرَكِ أَنْتَ
وَحَدَّكَ يَا بُنَيَّ ، بَلْ بَهَرَتْ جُرْجَا أَحَدِ قَوَادِ الرُّومِ ، إِذْ

طلبَ خَالِدًا لِيَتَحَدَّثَ مَعَهُ فِي أَثْنَاءِ فِتْرَةِ الرَّاحَةِ ، وَقَالَ
لَهُ :

- أَصْدُقْنِي يَا خَالِدُ وَلَا تَكْذِبْنِي ، فَإِنَّ الْحُرَّ لَا
يَكْذِبُ ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ
فَأَعْطَاكَ إِيَّاهُ ، فَلَا تَسْأَلُهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا هَزَمْتَهُ ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْوَلِيدِ بِقَوْلِهِ : لَقَدْ دَعَانِي الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ
سُيُوفِ اللَّهِ ، وَهَكَذَا سُمِّيَتْ سَيْفَ اللَّهِ .

وَشَرَحَ خَالِدٌ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ لْجُرْجَا ، الَّذِي
أَسْلَمَ بِدَوْرِهِ وَقَاتَلَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ لِيَفُوزَ
بِالشَّهَادَةِ .

وَتُوَفِّي أَبُو بَكْرٍ وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
وَبَعَثَ إِلَى خَالِدٍ بِأَمْرِهِ بِالنُّزُولِ عَنْ إِمَارَةِ الْجَيْشِ
وَإِعْطَانِهَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ . وَاسْتَمَرَ خَالِدٌ فِي

الْقِتَالِ حَتَّى وَصَلَ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ ، ثُمَّ
قَدَّمَ نَفْسَهُ جُنْدِيًّا عَادِيًّا يُقَاتِلُ تَحْتَ إِمْرَةٍ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
الْجَرَّاحِ .

قَالَ أَحْمَدُ : لَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ كُلُّ الْفَضْلِ لَخَالِدٍ
فِي إِحْمَادِ نَارِ الْفِتْنَةِ فِي كُلِّ مَنْ الْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ
وَالشَّامِ .

قَالَ أَبُوهُ : لَقَدْ حَرَصَ خَالِدٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ
سَيْفُهُ دَائِمًا فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ ، لِيُكَفِّرَ بِذَلِكَ عَمَّا
فَعَلَهُ قَبْلَ دُخُولِهِ الْإِسْلَامِ . وَقَدْ قَالَ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ : عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خَالِدٍ .

وَفِي السَّنَةِ الْعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، مَرِضَ خَالِدٌ
وَرَقَدَ فِي سَرِيرِهِ ، وَكَانَ حَزِينًا جَدًّا لِمَوْتِهِ عَلَى
فِرَاشِهِ ، وَقَالَ : لَقَدْ شَهِدْتُ كَذًا وَكَذَا زَحْفًا ، وَمَا
فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ سَيْفٍ ، أَوْ طَعْنَةٌ

رُمح ، أو رَمِيَّةُ سَهْم ، وهَانَذَا أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي
حَتْفَ أَنْفَى كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ
الْجُبْنَاءِ .

قَالَ أَحْمَدُ : يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ رَائِعَةٍ يَا أَبَى ! إِنَّهَا
قِصَّةُ فَارِسٍ مِغْوَارٍ ، بِذَلِكَ حَيَاتُهُ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ
رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ .

قَالَ أَبُوهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهَا أَعْجَبَتْكُمْ ، وَالْآنَ
مَاذَا عَنْ صَلَاحٍ ؟

قَالَ حَازِمٌ : سَأَتَّصِلُ بِهِ حَالًا يَا أَبَى ، وَأَدْعُوهُ
لِزِيَارَتِنَا ، وَلَنْ نَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا .

قَالَ أَبُوهُ : هَذَا جَمِيلٌ يَا وَلَدِي ، فَإِنَّ صَلَاحًا
مَعِدْنُهُ طَيِّبٌ ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمَا أَلَّا تَتَخَلَّيَا عَنْهُ ، وَأَنْ
تُسَاعِدَاهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

قَالَ أَحْمَدُ : سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَبَى !